علم الاجتماع العربي بين إشكالية التأسيس وأزمة البناء -الجزائر نموذجا-

Arab sociology between foundation problems and construction crisis

د. سمير صغير[1*]، د. أسماء خيري[2]

[1] مخبر الفرد العائلة والمجتمع، جامعة اكلي محند اولحاج البويرة (الجزائر) أستاذ محاضر ب، s.seghir@univ-bouira.dz

[2] جامعة اكلي محند اولحاج البويرة (الجزائر)، khiri.asma@hotmail.com

تاريخ الاستقبال: 2023/01/29؛ **تاريخ القبول**: 2023/03/19؛ **تاريخ النشر**: 2023/05/17

ملخص:

يظهر جليا للملاحظ للخارطة المعرفية للتخصصات المتوفرة في الجامعة الجزائرية الهامشية التي تظهر عليها العلوم الاجتماعية عامة و علم الاجتماع على وجه اخص، رغم الاهمية الكبيرة التي تتمتع بها هذه العلوم في البلدان المنتجة والمصدرة لها، وهذا ما يفسر الى حد كبير المساهمات النوعية والانتاجات المعرفية التنظيرية الاصيلة لهذه الاخيرة في هذه التخصصات، على عكس ما هو موجود عندنا في اوطاننا العربية المزخمة بالاحداث التي تصب في صميم حقل علم الاجتماع، الا ان صوت المشتغلين فيه يبدو باهتا، الا اذا تعلق الامر بقضية مستثارة بشكل رسمي.

الكلمات المفتاحية:

علم الاجتماع العربي، سوسيولوجيا كولونيالية، البيئة العربية.

Abstract:

It Becomes obvious to the observer for the knowledge map of specializations available at Algeria's marginal university, on which the social sciences in general and sociology in particular appear, Despite the great importance it enjoys in their producing and exporting countries, this explains a lot about the latter's qualitative contributions and original theoretical cognitive productions in these disciplines. Unlike what we have in our Arab countries, which are rich in sociological events, however, unless it is a formally provoked case, the operators' voices appear underwhelming.

Keywords:

Arab sociology science, Colonial sociology, Arab environement.

[*] د. سمير صغير، د. أسماء خيري.

تمهيد:

ارتبط اسم علم الاجتماع في تاسيسه بمفهوم الثورة، اذ كان محطة معرفية جامعة لثلاث ثورات كبرى عرفها العالم الغربي، ممثلة في ثورة سياسية في فرنسا، اقتصادية راسمالية في بريطانيا، و اخرى فكرية فلسفية في المانيا، هذه الثورات التي انتجت مجتمعا مختلفا عن سابقيه، سمي بالمجتمع الجديد او المجتمع الحداثي، هذا الاخير الذي اتسم بكسر البنى التقليدية والتخلص من الحتمية الاجتماعية المنبثقة من القوى الخارجية المتمثلة في الالهة وممثليها في الارض، ثم تكريس العمل والراسمال، وفق نمط عمل صناعي افضى الى نشاة مجتمع صناعي واسع، وفي الاخير الركون الى قوانين حدوث الظواهر والتفسير العلمي من خلال ظهور الاتجاه الوضعي الذي اعلن عنه صراحة اوجيست كونت في فرنسا، فظهر في النهاية علم الاجتماع كعلم تركيبي بين الكثير من التخصصات الاجتماعية منها والطبيعية.

فظهور علم الاجتماع كاخر مولود من مواليد العلوم الاجتماعية، كان امرا شبه حتمي لكل تلك التغيرات التي طرات على المجتمع الانساني الغربي والاوربي على وجه التحديد، فنشاته مرت بمراحل متعددة برزت فيها الكثير من التداخلات مع باقي العلوم الاجتماعية الاخرى كالانثروبولزجيا وعلم النفس مثلا، فكان المشتغلين فيه في كل مرة يحاولون تحديد حدوده المعرفية والمنهجية حسب المتطلبات الوظيفية، مما نوع في موضوعاته ومناهجه ومدارسه حتى في البلد الواحد، الامر الذي خلق الكثير من الصراعات الفكرية بين المشتغلين فيه، و التي برزت في تيارات سوسيولوجية منقسمة احيانا بسبب موضوعاتها بين الظاهرة والفعل والتفاعل والممارسات...الخ، واحيانا حسب المنهج بين المنهج والاقتراب واستخدامية البراديغمات، واولوية الميداني على النظري العكس، واحيانا اخرى حسب اهدافها بين السوسيولوجيا الملتزمة والسوسيولوجيا الاكاديمية وفي كل منها تنبثق تصورات ومدارس فرعية اخرى.

واذا كان هذا هو الحال بالنسبة للسوسيولوجية في البيئة المنتجة لها، فما هي وضعية هذا العلم في بيئات مختلفة عن بيئته الاصلية، كالبيئة العربية والجزائرية على وجه اخص؟

1- أزمة نشوء علم الإجتماع العربي:

إن معركة إثبات الوجود لعلم الإجتماع ولعلماء الإجتماع العربي قد حسمت منذ أكثر من عقدين من الزمان، حيث أن الجامعات والمجتمع وحتى دوائر السلطة قد أقرت بهذا الوجود، ولكن رغم وجودهم والإعتراف بهم إلا أن ما أنتجوه من معرفة قد جعل هذا الوجود هامشيا، وجعل فاعليتهم في التأثير على المجتمع محدودا، إن لم يكن معدوما، وطالب المعرفة عن الواقع الإجتماعي المغاربي والعربي قد لا يجدها إلا في الكتب الأدبية والصحفية، أو في أعمال بعض الباحثين في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والدين. فعلى الدول اللعربية تقديم بحوث ودراسات سوسيولوجية تقدم فيها فهما أكثرا شمولا وعمقا للواقع الإجتماعي المغاربي والعربي، تماشيا مع سرعة التغير الإجتماعي وتصاعد الإختراق الأجنبي لمجتمعات الدول العربية بصفة عامة، على الصعيد السياسي، الإقتصادي وحتى الثقافي الحضاري. (سعد الدين، 2010، ص349)

فأزمة علم الإجتماع لم تظهر نتيجة العوامل الحالية أو التغيرات المعاصرة وإنما بدأت من نقطة ظهور العلم بحد ذاته، ومع إشكالية هل ابن خلدون هو مؤسس علم الإجتماع؟ وما يليها من تبعية غربية وإستعمارية في جميع المجالات .

ففي الواقع أن أوضاعنا الإجتماعية تختلف عن الأوضاع الإجتماعية الغربية لذا واجب علينا الانتقال من التراث الغربي والاعتماد فقط عليه من الأفكار والمناهج وطرق التحليل والتفسير وتجاوز التبعية المسيطرة على الأفكار والإتجاهات وتطلعات الدول العربية ودراساتهم في علم الاجتماع. فالتأثير الثقافي الغربي على الدول العربية عامة وما أحدثه من تخريب فكري زاد في حدة الأزمة.

لأن علم الإجتماع في الدول العربية منذ نشأته إستطاع أن يجد نموذجا إرشاديا حل محل النماذج السابقة أي نظريات وطرق البحث المعتمدة كنموذج لدى مجتمع من الباحثين العلميين، هذا النموذج التي تعجز الدول العربية النهوض به. (خليل، 2007، ص8)

فأزمة علم الإجتماع المغاربي ترجع أساسا إلى حداثة العلم في الوطن العربي مغفلين بذلك كون علم الإجتماع بذاته يكون تراثا تاريخيا يضرب بجذوره في أعماق الماضي البعيد الذي عبر عنه الفلاسفة القدامى وصولا إلى وضع معالم هذا العلم على يد العلامة "**إبن خلدون**" الذي أسس قواعده وأرسى مناهجه ضمن كتابه الشهير " **المقدمة**" . (حسن، 1981، نقلا عن يوسف سعدون، ص2)

اذن يمكن القول ان الازمة ليس ازمة علم الاجتماع بحد ذاته بل في القائمين عليه لاعتباره من الفروع العلمية التي تهتم بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للافراد داخل الجماعات والاساليب التي تنظم بها المجتمع ولدوره الرئيسي والفعال في تطوير المجتمع ورقيه وحل المشكلات الاجتماعية استنادا للمعرفة السوسيولوجية المتولدة عنه، فولادته العربية المشوهة بالسيطرة الغربية التي تتمتع بايديولوجية وسياق اجتماعي وفكري خاص بها الذي حصر الجهد الفكري الاجتماعي العربي بالاقتباس من خلال الممارسة السوسيولوجية العربية التي تعتمد اساسا على التبعية الغربية بتبني مفاهيم غربية كأداة تحليل لفهم الواقع العربي والظواهر الاجتماعية المختلفة التي اثرت على نشوء سوسيولوجية عربية وفقا للبيئة المحلية في سياق حقل معرفي عربي تماشيا مع خصوصية البيئة العربية.

2 – طبيعة علم الاجتماع في البيئة العربية:

يعتبر علم الاجتماع علما دخيلا على المجتمعات العربية الحديثة مثله مثل الكثير من العلوم الاخرى، رغم المحاولات الكثيرة هنا وهنالك في الاقطار العربية لابراز كينونته، وضمان مكانته بين العلوم الاجتماعية، فكانت تظهر اسماء علماء بشكل معزول عن مفهوم التاسيس للمدرسة السوسيولوجية ماكان يتسبب في انطفاءها بمجرد انطفاء شمعة عالم الاجتماع، ورغم محاولات التشكل ضمن نواة صلبة لعلماء الاجتماع العرب كالجمعية العربية لعلم الاجتماع التي تاسست سنة 1985 بامانة عامة في تونس و رئاسة في مصر، الجماعة السوسيولوجية العربية، المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، هذا الاخير الذي يظهر نشاطا والتزاما متواصلا في رصد ومتابعة تطور نشاطات العلوم الاجتماعية في البيئة العربية، بما في ذلك علم الاجتماع.

اما فيما يخص مكانة علم الاجتماع في البلدان العربية، فقد ذهب السوسيولوجي الجزائري جمال غريد الى القول بانها " **لم تثمر على نتائج مقنعة، وفي مجالات حيوية عدة، يظهر كل شيء باهتا وغير مستقر وقابل للتقهقر، لا شيء تجذر وتأصل في المجتمع العربي، لا الديمقراطية و لا التصنيع و لا علم الاجتماع**" (غريد، 2004، ص91)، فبالرغم من المحاولات المتعددة في البلدان العربية على غرار مصر، لبنان، تونس، العراق، الجزائر...الخ، الا ان التأسيس والتأصيل لهذا العلم بقي مجرد محاولات تارة

فردية واخرى جماعية غير فاعلة، تراوحت بين السوسيولوجيا النظرية تارة، والسوسيولوجية الامبريقية تارة اخرى، حسب البيئة العربية والارتباطات المعرفية التاريخية لكل بلد من البلدان، بما يوحي بعدم الاستقلال الفكري ومنه الاكاديمي والبحثي عن تاريخ المنطقة العربية، فكانت في كل مرة تبرز الاختلافات المعرفية والمنهجية بين المشتغلين في الحقل السوسيولوجي العربي نظرا لارتباطاتهم بمدارس خارج الجغرافيا العربية، منتجة عدم التطابق بين المفهومات النظرية والوقائع الاجتماعية، ما كان يرغم الباحث، **" أحيانا بدون ايّ شعور منه، أن يدخل في تناقض مع نفسه ومع مذهبه العام وحتى مع مشروع بحثه الاولي"** (تومي، 2022، ص1332)، إذ يطلب منه العودة إلى العلم السوسيولوجي نفسه وبخاصة إلى النظرية الكونية التي يتضمنها، وبصفة أدق فإن **هذا التفكير الذي يدور حول قضايا الدخول إلى الحيز السوسيولوجي تتركز على المسائل التالية:**

1- لماذا صار من الضرورة أن نفكر في بلداننا وأن نعيد التفكير في السوسيولوجيا، هذا العلم الأوروبي؟

2- لماذا ينبغي البدء بقراءة نقدية معادية لسوسيولوجيات الأمس واليوم؟

3- ولماذا يجب القيام بدراسة نقدية للمحاولات المختلفة التي إستهدفت في بلداننا، الدخول إلى السوسيولوجيا؟ (Duerid, 2013)

وعليه فانه من الصعب جدا مقارنة السوسيولوجيا الغربية الاوربية بالتحديد سواء في نشاتها او تطورها الى غاية ما هي عليه اليوم، مع السوسيولوجيا العربية التي ابت ان تولد بشكل سليم، و بقيت تراوح مكانها بين انتاج ضئيل ونقد كبير لذاتها ومن غيرها، لعدة اعتبارات مرتبة بشكل مباشر بطبائع البشر على قول ابن خلدون، او بالاحرى بالخصوصية الاجتماعية وسرعة التحولات في البيئة المجتمعية العربية، والانعكاسات المباشرة لهذه التحولات على مؤسسات التعليم، ومنه على العلوم عامة والسوسيولوجيا خاصة، و هو ما فسر به جمال الدين غريد ابتعاد علماء الاجتماع خاصة منهم الجزائريين عن الكتابة والانتاج،

" فمقارنة السوسيولوجيا الغربية بالسوسيولوجيا العربية بمصر والجزائر على وجه التحديد لا تخلو من خطورة لان الباحث يشتغل حول مادة سريعة الالتهاب وقد اعترف في السياق ذاته أن الذين إختاروا طريق الصعوبة، طريق البحث والكتابة قد عاشوا هذه الحالات التي زادتها الوضعية الجزائرية صعوبة وتشعبا". (تومي، 2022، ص1334)

وهذا ما تبرزه الدراسات التي قام بها **المرصد العربي للعلوم الاجتماعية** حول **حجم الانتاج السوسيولوجي في البلدان المغاربية** على سبيل المثال، حيث تم حصر الانتاج الاجمالي لكتب علم الاجتماع في الدول المغاربية في 757 كتابا منشورا باللغة العربية، يأتي المغرب في المقدمة بـ 419 كتابا بنسبة 55% ، ثم تونس ب 174 كتابا بنسبة مقدرة ب 23%، والجزائر ب 164 كتابا بنسبة مئوية قدرها 22%. (هشام، 2017، ص8)

وفي ما يخص الانتاج الاجمالي حسب ميادين علم الاجتماع بين 2000 و2016 ، فقد احتل علم الاجتماع السياسي في تونس الصدارة بنسبة 27% ، في حين احتلت الكتب ذات الطابع النظري والمنهجي في الجزائر صدارة الانتاج بنسبة 24.5%، فيما احتلت السوسيولوجيا الثقافية في المغرب المرتبة الاولى بنسبة 22% . (هشام، 2017، ص11)

واذا اردنا اعطاء قراءة اولية لنتائج الدراسة مقارنة بموضوعنا، فان هذه النتائج تؤكد على ما يصطلح عليه بمفهوم الخصوصية الاجتماعية، الناتجة لهذا البعد الحاصل بين علماء الاجتماع المغاربيين من حيث الاهتمامات ومجالات البحث، ففي الوقت الذي يركز عالم الاجتماع التونسي على المواضيع السياسية المرتبة بالمجتمع التونسي المؤدلج سياسيا من خلال العلمانية، نجد الجزائري

منغمسا في الاطر النظرية والمنهجية لهذا العلم، بعد ان كانت الدراسات الرائدة عنده مركزة على العمل وعلاقاته سابقا، في حين يركز عالم الاجتماع المغربي على الابعاد الثقافية لارتباطاته الكبيرة بالانثروبولوجيا والفلسفة.

كما يمكن اعتبار الاقاليم العربية كمنطقة ثقافية تضم قسمين كبيرين متمايزين وكل قسم ارتبط بثقافة غربية، فالفكر الاجتماعي والمعرفة العلمية لدى دول المشرق العربي ترتبط إلى حد كبير بثقافة المستعمر الانجليزي، في حين ارتبط مجتمع شمال أفريقيا بشكل كبير بثقافة المستعمر الفرنسي، وهذا الارتباط ساهم في التلاقح والتبادل الحضاري بين الثقافة المحلية وثقافة المستعمر . (سيف الاسلام، 2004، ص99)

3– علم الاجتماع في الجزائر:من الكولونيالية الى التعميم ثم الى التعويم !

مرت نشاة علم الاجتماع في الجزائر بمراحل متعددة مثله مثل باقي المجتمعات في بلدان العالم المختلفة، الا ان السياقات الاجتماعية و التاريخية تختلف عما حصل في البلدان الاخرى، ما عدى بعض التشابه عما حصل عند بعض البلدان العربية، فكان اول ما انجز في علم الاجتماع في الجزائر من صنيعة مشتغلين غربيين في فترة كولونيالية، سمحت لغير الجزائريين بالنشاط والبحث في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري لاهداف استعمارية، وبايعاز من القوى الاستعمارية في حالات كثيرة، " **ولم تنتقل السوسيولوجيا للجزائريين الا بعد عدة سنوات بعد الاستقلال، لما بدأت تتشكل الكوكبة الاولى من السوسيولوجيين المغاربة، ويرجع غيابها أثناء الحقبة الاستعمارية إلى عدة أسباب أهمها الاستعمار نفسه، فلم يكن هذا العلم محل تدريس لا في المعاهد العليا التي تأسست سنة 1879 ولا في الجامعة التي برزت إلى الوجود سنة1909، لتظهر كوكبة من السوسويولوجيين الفرنسين بالجزائر، أمثال بيير بورديو وكلودينشولي، وجزائريين مثل صياد عبد المالك وعبد القادر جغلول، ثم علي الكنز وجيلالي ليابس ومحمَّد بوخبزة، نذير معروف، عدي الهواري، مصطفى بوتفنوفت، محفوظ بنون،...الخ**". (ثيافة، 2019، ص572)

وفي نفس السياق يجيبنا السوسيولوجي الجزائري **علي الكنز** قائلا، " **ان الجيل الاول من السوسيولوجيين الجزائريين، والى غاية سنوات السبعينيات، كانوا اما فرنسسين او جزائريين مفرنسين، فكان من بين الاوائل بيير بورديو الذي اسس الجمعية الجزائرية للبحث في الديمغرافيا، الاقتصاد و علم الاجتماع –AARDES– ، و بعد رحيله ترك بعد الباحثين الذي تكونوا الى جانبه، و منهم عبد المالك صياد، و تاركا خلفه مؤسسة تشتغل بشكل جيد الى غاية سنوات الثمانينيات**". (Stéphane BEAUD, 1998, p128)

ويضيف قائلا ان" **في جامعة الجزائر كانت هناك دفعة من طلبة علم الاجتماع مسيرة من طرف الاستاذ ايميل سيكارد*، الذي طور تعليما اكاديميا بحتا، لا ينخرط الا نادرا في النشاطات البحثية، فلم يكن هناك أي علاقة رسمية بين الحقلين، لتبقى الجمعية المذكورة انفا نقطة مرجعية لطلبة علم الاجتماع المنخرطين فيها، دون ان تسجل حظورها الا نادرا في الجامعة**". (Stéphane BEAUD, 1998, p128)

مع بداية الاصلاحات في التعليم العالي سنة 1971، وتطبيق مشروع توطين المؤسسات الجزائرية، انطلق مشروع تعريب العلوم الاجتماعية في الجامعة الجزائرية، وزيادة دفعات لطلبة علم الاجتماع في كل من جامعة وهران وقسنطينة، ثم عنابة لاحقا

تعميما لدراسة هذا العلم، ما خلق طلبا اضافيا على الاستاذة المؤطرين، مما دفع الى استقدام اساتذة جدد، لكن هذه المرة تختلف نوعيتهم عن الاساتذة والسوسيولوجيين السابقين، هذه المرة علم الاجتماع في الجامعة وجد نفسه امام نوعية جديدة من الاساتذة، هنا مكمن الخصوصية، " **فبعد ان كان علماء الاجتماع الجزائريين الاوائل منقسمين على التيار اليساري بما فيها الماركسية الكلاسيكية، ماويون، ارتودوكسيون، ستالينيون، التوسيريون، و بعض البورديياويون، جاء الدور هذه المرة على النخبة المعربة لولوج الحقل السوسيولوجي قادمين من الشرق الاوسط ومن الدول الانجلوساكسونية، ولم يتعرفوا ابدا على الجامعة الجزائرية بعد الاستقلال، فاقترحوا برنامج تعريب لتعليم علم الاجتماع، اضافة الى اشكاليات ومناهج مختلفة عما كان معروفا عندنا، حيث كنا مرتبطين اكثر بالحقل السوسيولوجي الفرونكوفوني، فكانت العلاقات بين هاتين المجموعتين صعبة جدا في البداية واستمرت كذلك**" . (Stéphane BEAUD, 1998, p129)

فتلك النخبة السوسيولوجية الجديدة التي تكونت بكل من مصر و سوريا و العراق غالبا، حملت معها فكرا جديدا وتصورا يختلف عما الفه علم الاجتماع الموروث عن الحقبة الاستعمارية بتوجهه الفراكوفوني اليسارين " **حيث انتقلوا في اواخر الخمسينيات الى دول الشرق الاوسط بدعم و تمويل من جبهة التحرير الوطني، و تحصوا على شهادات جامعية جديدة كالدكتوراه الفلسفية' ومنهاج مختلف مسجل اكثر ضمن الثقافة الانجلوساكسونية، الانثروبولوجيا، والعلوم الاجتماعية عامة، ولكن اقل تخصصا و تكوينا من السوسيولوجيين الفرانكوفونيين**" (Stéphane BEAUD, 1998, p129).حسب تصور على الكنز، **حيث يوضح فيما بعد سيطرة هذه** *(**ايميل سيكارد**، هو اول مسؤول عن دفعة علم الاجتماع في جامعة الجزائر، درس لاحقا في جامعة بوردو).

النخبة المعربة نسبيا على علم الاجتماع في الجزائر، و منه اعادة تحوير موضوعاته واساليبه البحثية ومناهجه وبراديغماته، واستدعاء الكثير من المناهج الخاصة بعلوم اخرى لتطبيقها في منهاج علم الاجتماع، منتجا نموذجا مختلفا عن الذي ساد لسنوات في علم الاجتماع الجزائري، الامر الذي خلق فجوة بين الكتلتين المعرفيتين السوسيولوجيتين، لتزيد ازمة علم الاجتماع تعقدا وتوسعا، فبعد الحديث عن سوسيولوجيا كولونيالية وبوستكولونيالية فرونكوفونية اولى، جاء الدور على نخبة فراكوفونية ملتزمة بمناهضة الاستعمار لكن غير معادية لارثه السوسيولوجي الا فيما يتعلق بالمواقف المعادية لاستقلال الجزائر، ومثمنة للمواقف المناهضة للاستعمار –فرانز فانون مثلا– ، لنحط الرحال في مرحلة اخرى من مراحل تاريخ الجزائر بما يحمل من تقلبات و تغيرات، عرف فيها علم الاجتماع تنوعا في مناهجه وبرامجه التدريسية مع زمالة صراعية فكريا، معرفيا ومنهجيا، بين الكتلة الفرانكوفونية والكتلة المعربة، ما حال دون التاسيس لعلم اجتماع جزائري، يحمل هموم واقع مجتمعه ويقدم التحليلات الضرورية لكل ما يدور في الحقل الاجتماعي والعلائقي، ويساهم في التخفيف من مآسي هذا المجتمع، رغم المحاولات العديدة هنا وهناك ومن كلا الكتليتين السوسيولوجيتين، ولو بشكل فردي ونذكر على سبيل المثال الاعمال المقدمة من قبل كل من **مصطفى الاشرف، مصطفى بوتفنوشات، مالك بن نبي، علي الكنز، جيلالي اليابس،عبد الغني مغربي، بوزيدة عبد الرحمن، عياشي عنصر، عبد القادر لقجع، رشيد ميموني، جمال الدين غريد، ناصر جابي، بوفلجة غياث، سعيد عيادي**...، و غيرهم ممن لم نذكرهم كثير، ناهيك عن المؤسس الاول المشترك فيه مغاربيا ممثلا في **عبد الرحمن ابن خلدون**، و المتفق عليه من قبل الكتلتين على حد سواء بأحقية الحديث عنه كمؤسس لعلم الاجتماع.

بعد هذه المرحلة الثانية الموجزة في اسطر رغم تعدد سنواتها وارهاصاتها، ناتي الى مرحلة جديدة يتم من خلالها تعويم علم الاجتماع بعد محاولة تعميمه، و ظهر ذلك في عدد المعاهد المفتوحة لهذا التخصص في الجامعات الجزائرية التي تجاوز عددها الستون

مؤسسة جامعية بين جامعة و مركز جامعي، تضم اغلبعا على اقسام للعلوم الاجتاماعية ومنها علم الاجتماع، بتخصصات متنوعة ومختلفة من جامعة الى اخرى، خاصة في ظل تطبيق نظام ل م د منذ سبتمبر 2004.

ان الملاحظ اليوم حول واقع علم الاجتماع في ظل الماكدونالدية التي تسير بها المؤسسات الجامعية، من خلال تقليص سنوات التعليم، والتركيز على التخصصات، والكم الهائل للطلبة المجتازين للمسار الجامعي في سنوات قلائل، يمكن ان يفسر لنا السطحية التي بات يتميز بها طالب علم الاجتماع في بلادنا، هذا الطالب الذي لا يقرا كثيرا، غير مؤدلج الا نادرا، و غير منخرط بشكل واسع في قضايا مجتمعه وامته، ويسعى من خلال دراسته القصرية لعلم الاجتماع الى نيل شهادة تكون له تاشيرة لولوج عالم الشغل، همه مادي اكثر منه معرفي استقصائي. (صغير، 2010، ص 329)

وهو الحال بالنسبة للمشتغلين في حقل السوسيولوجيا من الجيل الثالث نسبيا، فما الطالب الا نتاج منظومة قيمية معيارية محددة، اختار فيها الاستاذ موقع المنفذ و المسير، منفذ لبرنامج تدريس، و مسير لمساره المهني، في ظل المنظومة القانونية الجديدة التي تشترط تنظيم تظاهرات علمية و المشاركة فيها، ما جعل من هذه الاخير نشاطا فولكلوريا اكثر منه علميا، مع ضرورة الاشارة الى التميع والسطحية التي باتت تميز الابحاث في علم الاجتماع خاصة ما تعلق بمذكرات، رسائل واطروحات نهاية الطور الدراسي، وحتى الكتابات المنشورة اصابها في جزء منها البعد المادي التجاري، بدل الجدية التي كانت معروفة عند الرعيلين الاول والثاني من علماء الاجتماع في الجزائر.

4- الأفاق المستقبلية لعلم الإجتماع العربي:

- السعي الجاد لتحديد هوية لعلم الإجتماع في الوطن العربي بصفة عامة وفي المغرب العربي بصفة خاصة، ومقومات هذه الهوية يجب أن تنطلق من طريقة التفكير والمصالح المجتمعية الحالية والمستقبلية والخصوصية التاريخية للمجتمع، في علاقتها بأنماط تطور مجتمعات أخرى شاركتنا التاريخ والواقع المعاصر. (عبد الباسط، 2010، ص 379)
- إن معظم من إهتموا بمواجهة أزمة علم الإجتماع، على المستويين العالمي والمحلي، أكدو ضرورة وجود تجمعات إجتماعية ينتمي إليها باحثون في علم الإجتماع، والسعي لخلقها إن لم تكن قائمة بالفعل. إن هذه التجمعات التي يلتقي فيها الباحثون في علم الإجتماع إيديولوجيا وإجتماعيا ضرورية للمشاركة في التخطيط لخلق الظروف الضرورية لتحرر الإنسان، فهذا الإنتماء يوفر قدرا من الحماية للباحث في علم الإجتماع ويمهد أرضية للعمل الجماعي، ويساعد في فهم الكل الإجتماعي الذي يسعى الباحثون لمواجهته.
- التفاعل مع القوى الإجتماعية الساعية لتغيير المجتمع العربي، مع ضرورة إيمان حركة أعضاء هذا التنظيم وإثراء وعيهم بواقعهم، ويساعد في ترتيب الأولويات والمهام المطروحة ، وفي مقدمة هذه القوى المنتجون الحقيقيون من العمال بمختلف الطبقات المهنية حاملي إمكانية التغيير.
- ضرورة إدراك ودراسة أسس وقضايا الصراع مع الطرف المهيمن داخل العلم، حتى يكون هذا الصراع ملتزما وإيجابيا في نتائجه بما يخدم مسيرة علم الإجتماع.
- إن الصراع مع التيارات الفكرية العالمية خاصة الصادرة من العالم الثالث ومع التراث الفكري العربي، لن يكون إيجابيا إلا إذا وجد سعي حقيقي لملء الفراغ النظري والمنهجي الذي تسيطر عليه المدارس الغربية. ومنطلق الصراع هنا لا يعني العزلة أو الإبتعاد عن إنجازات الفكر العلمي والتراث العربي، وإنما يعني إتباع أسلوب الحوار معهما وإدخالها في حوار مع

التاريخ الإجتماعي ومع الواقع الإجتماعي العربي، معياره ضبط المخاطر الحالية التي تهدد كيان الأمة والتحديات المستقبيلة التي ستؤثر في حركتها.

- يحبذ تجميع الأفكار والمقترحات المختلفة التي حملتها جهود الدول العربية بصفة عامة والجهود دول المغرب العربي بصفة خاصة من أجل تحليلها وتعميقها وتحديد موقف منها. (عبد الباسط، 2010، ص 379)
- ضرورة دراسة القوى العربية والمغاربية والعالمية، والمعيقة لهذا التغيير، ودراسة خصائص وأوضاع القوى العربية حاملة إمكانية التغيير. (عبد الباسط، 2010، ص 380)

مما سبق يتضح انه على الدول العربية تقديم بحوث ودراسات سوسيولوجية تقدم فيها فهما أكثرا شمولا وعمقا للواقع الإجتماعي المغاربي والعربي، تماشيا والظروف السائدة في دول العربية ومع سرعة التغير الإجتماعي والتبعية الغربية لمجتمعات الدول العربية على الصعيد السياسي الإقتصادي وحتى الثقافي. بالاضافة إلى السعي لتحديد هوية لعلم الإجتماع في المغرب العربي ، ومقومات هذه الهوية يجب أن تنطلق من طريقة التفكير والمصالح المجتمعية الحالية والمستقبلية والخصوصية التاريخية للمجتمع، في علاقتها بأنماط تطور مجتمعات أخرى. بالإضافة إلى ضرورة دراسة القوى العربية والمغاربية والعالمية، والمعيقة لهذا التغيير، ودراسة خصائص وأوضاع القوى العربية حاملة إمكانية التغيير.

خاتمة:

يظهر لنا من خلال العرض السابق ان علم الاجتماع في الجزائر مر بثلاث مراحل اساسية، مرحلة التاسيس الفرانكو الكولونيالي، ثم مرحلة الفرونكووطني، ثم مرحلة الصراع الفرنكوفوني العروبي ، ثم مرحلة التميع و التسطيح الفكري التي بات فيها علم الاجتماع تقنيا مفرغا من الايديولوجيا و الابعاد الفلسفية، فلم تعد اللغة محور صراع بين المشتغلين فيه، و لم تعد المدارس السوسيولوجية محل جذب ومنافسة ولا حتى اطلاع في احيان اخرى، وفي الكثير من الاحيان يجهل المشتغلين في هذا الحقل علماءهم الاوائل الذين نشطوا ساحته لعقود خلت.

ان هذه الصورة التي تظهر سوداوية للقارئ، قد تكون اكثر نعومة عن حقيقة ما هو موجود على الساحة السوسيولوجية اليوم في بلادنا العربية، وما الفجائية التي طرات بها احداث الربيع العربي الا دليل على المستوى الضعيف للتنبؤ من جهة، والهامشية التي تحيط بهذا العلم والمشتغلين فيه عن الساحة الاجتماعية، والا لما كانت الاحداث بتلك الماساوية التي رايناها، وانا اقول هذا الكلام لا اقصد التدخل في صناعة التاريخ بقدر ما انوه الى امكانية تفادي ماسي فاضحة، عرفها وطننا العربي وكان مسرحا لها، فعالم الاجتماع الذي لا يحمل هم مجتمعه لا يمكنه حمل تسمية عالم اجتماع.

المراجع:

1- الكتب باللغة العربية:

1- جمال، الدين غريد، (2004) الزرع الاشكالي للسوسيولوجية في العالم العربي حالتا مصر والجزائر، **وقائع ملتقى علم االجتماع والمجتمع في الجزائر**، دار القصبة للنشر، الجزائر.

2- حسن، الساعاتي، (1981) **علم الإجتماع الخلدوني – قواعد ومناهج**-، دار النهضة العربية، بيروت، نقلا عن يوسف سعدون، استاذ محاضر، جامعة عنابة: قراءة نقدية حول علم الإجتماع في الوطن العربي

3- خليل، عبد الله المدني، (2007) **علم الإجتماع في الوطن العربي (الواقع والطموح)**، مركز الدراسات المعرفية، ندوة علم الإجتماع من منظور إسلامي.

4- سعد الدين، إبراهيم، (2021) **تأمل الأفاق المستقبلية لعلم الإجتماع في الوطن العربي: من إثبات الوجود إلى تحقيق الوعود**، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.

5- سيف الاسلام، شوية، (2004) السوسيولوجية في المجتمعات العربية المعاصرة بين الطروحات الغربية ومحاولات تشكيل خصوصية فكرية واجتماعية، **علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر**، تنسيق عبد القادر لقجع، دار القصبة، الجزائر.

6- هشام أيت منصور، (2017) المرصد العربي للعلوم الاجتماعية، **مراجعة للكتابات السوسيولوجيّة باللغة العربيّة في الدول المغاربيّة بين 2000 و2016**،بيروت.

2- المقالات:

7- تومي ام الخير، (2022) السوسيو لوجيا تبحث عن نفسها !...قراءة في كتاب "الدخول إلى السوسيولوجيا ...حدود الكونية الاوروبية " لجمال غريد، **مجلة العلوم الانسانية**، المجلد 22، العدد 1، الجزائر، 2022

8- ثياقة الصديق، (2019) فاتحي عبد النبي، إشكالية نقل وزرع السوسيولوجيا في الوطن العربي، **مجلة آفاق علمية**، المجلد 11،العدد 20 .

9- سمير صغير، بلقاسم شيبان، (2010) موقع الجامعة في المنظومة المجتمعية الجزائرية بين المركز و الهامش: دراسة ميدانية لتمثلات الجامعيين(اساتذة و طلبة) لدور الجامعة في المجتمع الجزائري، **معارف**،العدد 9، البويرة.

3– المراجع باللغة الاجنبية:

10- Stéphane BEAUD,(1998) Regard sur la sociologie en Algérie et dans le monde arabe, Entretien avec Ali EL-KENZ, In:**Genèses**, n32, France.

11- GUERID Djamel , (2013) **L'entrée en sociologie – Les limites de L'universel Européen** ,**Implications concrètes dans le monde d'aujourd'hui**, , PUBLISUD éditions, Paris.